

الصوت العسير في اللغة العربية

The Hard Phonetic in the Arabic

ناصر النعيمي، ومحمود عبيدات

Nasser Noeimi & Mahmoud Obeidat

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الانسانية والتربوية،
جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن

بريد الكتروني: mobarak1974@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠١١/٩/٢٢)، تاريخ القبول: (٢٠١٢/٢/٢٣)

ملخص

تتناول هذه الدراسة صوت (الضاد)، والسعي مركز في هذه الدراسة على جّل جوانب هذا الصوت، سواء الجوانب المباشرة أو غير المباشرة، نحو: اتهامه بالعصي، والتفرد في النظام اللغويّ العربيّ، وتحديد مخرجه، وذكر صفاته، وتوصيف آلية تكوينه، ثم رصد التلونات الصوتية الحرة والمقيدة للضاد، وتحليلها على اهتداء من الثقافة اللغوية اللسانية المعاصرة. وأظهرت الدراسة أنّ صوت الضاد صوت عسير وليس عصيا، وأنّه لم تتفرد العربية به فحسب، وهو من أكثر الأصوات العربية تبدالاً، فكثرت إبدالاته واتسع التصرف به، فمجموع التبدلات والتلونات الصوتية الحرة (الفوناتيكية) لصوت الضاد، سواء كانت مبررة أو غير مبررة بلغت أربعة عشر تبدالاً، بالإضافة إلى التبدلات المقيدة (الفونولوجية) والمتمثلة بالمخالفة والمماثلة والإدغام.

Abstract

This study deals with the letter (dad). The effort concentrates in this study on all sides of that letter, direct and indirect. For example: accusing it with stubborn, indivdulty in the Arabic linguistical system, definition its way out, mention its ledges, description its creation, After that look out colored phonetics, free and halted to (dad), analise it according to temperory linguistic entlure. The study showed that (dad) letter is stubborn but not imposible. And Arabic language does not itemize it. It us the most changeable letter in Arabic language, and so its changes

increased and extended. The total changes and free varied coloring phonetics to that sound (dad), either justified or not, it reached fourteen changes plus limited changes (philiological) assimilated in contrast, similarity, and incorporation.

صوت الضاد أعصي هو أم عسير؟

في أثناء قراءتي لكتاب (يوهان فك)، (العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب) شدّ انتباهي حديث المؤلف عن صوت الضاد، وعن كثرة صور الإبدال التي يتعرّض لها، وأن صوت الضاد هو الصوت "العصي على النطق"^(١)، فاستنقلت هذا المصطلح (العصي) الأمر الذي دفعني إلى تتبع هذا المصطلح، وهل هو عسير؟.

إنّ المنتبِع لمصطلح (العصي) في المعاجم العربية يتبيّن له أن العصيان، يأتي بمعنى: ترك الانقياد وعدم الاستجابة، وهو خلاف الطاعة، يقال: عصى العبد ربه، إذا خالف أمره ولم يطعه، ويقال للجماعة إذا خرجت عن طاعة السلطان: قد استعصت عليه^(٢). ومعنى هذا أن العصيان يكون بمعنى التمرد واستحالة الخضوع، وعليه فصوت الضاد - وفق مفهوم العصيان- لا يستجيب للمتكلم ولا يمكن تعلمه، ولكن، هل صوت الضاد عصي؟

فنقول إنّ :

صوت الضاد من أصوات النظام الصوتي العربي، نطق به أبناء العربية وغيرهم قديماً وحديثاً، فلا استحالة في نطقه أو تعلمه.

والعسر نقيض اليسر، والعسر: هو الضيق والشدة والصعوبة^(٣) وفي اللسان: اعْتَسَرَتِ الكَلَامُ إِذَا اقْتَصَبْتَهُ قَبْلَ أَنْ تُزَوَّرَهُ وَتُهَيَّبَهُ^(٤). قال الله تعالى: ((سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا))^(٥)، وقال أيضاً: ((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))^(٦)، وصوت الضاد كذلك صوت عسير، قال مكي الأنصاري: "والضاد أصعب الحروف تكلفاً في المخرج، وأشدّها صعوبة على

(١) انظر: فك، يوهان، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة رمضان عبد التواب، مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م، ص ١١٢.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، مادة (عصا). والجرجاني، الشريف علي بن محمد علي، التعريفات، ضبط نصوصها وعلق عليها: محمد علي أبو العباس، القاهرة - دار الطلائع، ص ١٥١.

(٣) انظر: مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، بيروت - دار الفكر - ط ١، ٢٠٠٥م، مادة (ع ص ا).

(٤) انظر: لسان العرب، مادة (ع ص ا).

(٥) سورة الطلاق: ٧.

(٦) سورة الشرح: ٥-٦.

اللافظ"^(١)، وأكد ابن الجزري هذا فقال: "والضاد انفرد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله؛ فإنَّ ألسنة الناس فيه مختلفة، وقلَّ من يحسنه، فمنهم من يخرج (ظاءً)، ومنهم من يمزجه بـ (الذال)، ومنهم من يجعله (لاماً) ومنهم من يُشَمِّه بـ (الزاي)"^(٢)، وقال إبراهيم أنيس في معرض حديثه عن أحرف الإطباق (الضاد، والطاء، والظاء، والصاد): "وهذه الحروف يتطلب النطق بها وضعاً خاصاً للسان، يحتمل المتكلم بعض المشقة، إذا قيست بنظائرها من الحروف غير المطبقة، مثل: الدال، والتاء، والذال، والسين، وقد أدت صعوبة النطق بحروف الإطباق إلى الميل إلى التخلص منها في اللهجات الحديثة، ويُلاحظ هذا الميل في لهجة أهل المدن، وبخاصة السيدات، فهنَّ يقلن مثلاً: درب، بدلاً من ضرب"^(٣)، بالإضافة إلى ذلك فإنَّ صوت الضاد من أصوات الاستعلاء التي تستوجب التصعد في الصوت إلى الحنك الأعلى، وفي هذا جهد ومشقة لا تنكر.

وصوت الضاد صوت أعسر، أي يعمل من جهة اليمين، أو من جهة اليسار للحنك، أو من كلا الجانبين، ويوضح المبرد هذا، فيقول: "الضاد ومخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر"^(٤)، وأكد ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) هذا فقال: "ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر"^(٥)، وهذا يتناسب مع معنى العسر. جاء في معجم المحيط في اللغة: "أعسرُ يَسِر: يعمل بيديه جميعاً، وامرأة عسراء يسراء، فإذا غلبت الشملى على اليمنى فهو أعسر"^(٦)، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه- يُخْرِج الضاد من شدقه الأيسر كما يخرج من شدقه الأيمن، يقول الجاحظ: "فأمَّا الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن، إلا أن يكون المتكلم أعسرَ يسيراً مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه- فإنه كان يخرج الضاد من أي شدقيه، فأمَّا الأيمن والأيسر والأضبط، فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد"^(٧).

- (١) مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات، عمان - دار عمار، ١٩٩٦م، ص ١٥٨.
- (٢) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، صححه علي محمد الضباع، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، ١٧٣/١.
- (٣) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٤، ٢٠١٠م، ص ٢٩.
- (٤) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، بيروت - عالم الكتب - الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ، ١٩٣/١.
- (٥) ابن جني، أبو الفتح، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هندراوي، دمشق - دار القلم - الطبعة الأولى ١٩٨٥م، ٥١/١.
- (٦) انظر: الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت - عالم الكتب - مادة: عسر.
- (٧) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: موفق شهاب الدين، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ٢٦/١.

لأجل ما تقدم نوصي بأن يطلق على صوت الضاد الصوت العسير، أما بخصوص صعوبة نطقه فتكشف عنها كثرة التبدلات والتلونات بغيره من الأصوات على ألسنة العرب وغير العرب، وسيأتي الحديث المفصل عن هذه التبدلات بعد قليل.

ومن الجدير بالذكر أنّ اللغويين منذ القدم كانوا يبنهون المتحدثين بالعربية إلى النطق السليم للضاد، بالإضافة إلى التحذير من الوقوع في الخلط مع الصوت القريب منه وهو الظاء، فإنّ هذين الحرفين متقاربان؛ لأجل ذلك احتاج الناس إلى تصنيف الكتب في الفرق بينهما، ولم يتكفوا ذلك في غيرهما من الحروف، فألفوا كتباً كثيرة مستقلة في الضاد والطاء، وفي حدود اطلاعي لم أجد أيّ صوت في العربية نال هذا الاهتمام والتأليف مثل ما نال صوت الضاد والطاء، فقد بلغ عدد المصنفات التي اختصت بهذين الصوتين واتفقت في المضمون والعنوان تسعة وثلاثين مصنفاً، حسب إحصاء الدكتور حاتم صالح الضامن^(١)، وكان مجال الاهتمام في هذه المصنفات منصباً على محاور أربعة:

- بيان الكلمات التي تكتب بالضاد.
 - بيان الكلمات التي تكتب بالطاء.
 - بيان الكلمات التي تكتب بالضاد والطاء، ولها معنى واحد، نحو: فاض الرجل وفاظ: إذا مات، وحضلت النخلة وحظلت: إذا فسدت أصولها.
 - بيان الكلمات التي تكتب بالضاد ولها معنى، وتكتب بالطاء ولها معنى آخر، مثال ذلك: العظم: معروف، والعظم: خشبة تدرى بها الحنطة، وعضّ الرجل: من العضّ، وعظّته الحرب: إذا اشتدت عليه، والحظيرة: معروفة، والحظيرة: الجماعة من الناس^(٢).
- ومن الجدير بالذكر أنّه مهما كان بين الضاد والطاء من كمال القرب، فإن لكل منهما مخرجاً على حدة يجب معرفته، ولا يجوز أن نفتح الأبواب على مصاريعها في مسألة تبدل صوت الضاد بصوت الظاء؛ لأنّ التفاوت بينهما كالتفاوت بين (ما) وأخواتها.
- صوت الضاد، أمّتفرد هو في العربية أمغير متفرد؟**

ارتسم في أذهان بعض الدارسين أنّ صوت الضاد من الأصوات التي انفردت بها اللغة العربية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى شيوع مصطلح (لغة الضاد)، ويقصد اللغة العربية، عند الدارسين ولا سيما المحدثين، فتراهم يكثرون من الاستشهاد بالقول المأثور والمنسوب إلى

(١) انظر: ابن مالك، جمال الدين محمد بن مالك، الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، بيروت - مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ص ٦-١٢.

(٢) للمزيد من الأمثلة انظر: كتاب في معرفة الضاد والطاء جمعه وحققه الشيخ أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن أحمد القيسي الصقلي، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، ص ٣٣، مؤسسة الرسالة. وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والطاء، ص ٩٧. والاعتماد في نظائر الظاء والضاد، ص ٣٤.

الرسول محمد ﷺ وهو: (أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قریش)^(١)، وأنّ هذا الصوت الذي هو في أصله الحرف المطبق القديم للذال، خاص بالعربية، بحيث يسمى العرب في أحد الأحاديث المشهورة: الناطقين بالضاد^(٢)، وكان العرب يتباهون بنطقهم الخاص لصوت الضاد^(٣)، وأما صوت الضاد المفخمة فقد بقي وحيداً دائماً في النظام الصوتي كله^(٤).

ولكن يتبادر إلى الذهن السؤالان الآتيان:

- هل صوت الضاد هو الصوت الوحيد من بين أصوات العربية الذي جاء منفرداً في النظام الصوتي العربي؟
- من أطلق مصطلح لغة الضاد على اللغة العربية؟

أنّ جُلَّ النصوص التي استؤنس بها وتطرفت لمسألة التفرد لصوت الضاد جاءت مضطربة إقلقة وغير حاسمة: يقول ابن جني: "واعلم أنّ الضاد للعرب خاصة، ولا يوجد من كلام العجم إلا في القليل"^(٥)، وقال ابن فارس: "وزعم ناس أنّ الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم"^(٦)، وتناول هذا الموضوع ابن سنان الخفاجي وقال: "قالوا مما اختصت به لغة العرب من الحروف، وليس هو في غيرها حرف الطاء، وقال آخرون حرف الطاء والضاد"^(٧)، وذكر أيضاً: "وقد ذهب قوم إلى أنّ الحاء من جملة ما تفردت به لغة العرب، وليس الأمر كذلك؛ لأنني وجدت في اللغة السريانية كثيراً"^(٨)، وقال الأصمعي: "ليس للروم ضاد"^(٩)، وقال "برجستراسر": "إنّ الضاد العتيقة حرف غريب جداً غير موجود حسبما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية"^(١٠).

- (١) هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ وإن كان معناه صحيحاً، وهو مما اشتهر على ألسنة الناس، قال العجلوني: "معناه صحيح لكن لا أصل له ولا يعرف له إسناد" [انظر: العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، بيروت - دار إحياء التراث العربي -، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ٢٠٠/١].
- (٢) انظر: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ص ١١١.
- (٣) انظر: فليش، هنري، العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق: الدكتور عبد الصبور شاهين، بيروت - دار المشرق -، الطبعة الثانية، ص ٣٧.
- (٤) انظر: المرجع نفسه، ص ٣٩.
- (٥) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢١٤/١.
- (٦) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويبي، بيروت - مؤسسة بدران -، ١٩٦٣، ص ١٢٤.
- (٧) الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن سعد، سر الفصاحة، القاهرة - مؤسسة العلياء -، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م، ٨٨/١.
- (٨) المرجع نفسه، ٨٨/١.
- (٩) البيان والتبيين، ٤٩/١.
- (١٠) برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، صححه رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٩٩٤، ص ١٨.

فالمدقق في النصوص السابقة يلحظ التردد في حسم مسألة التفرد من خلال أقوالهم: ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل، وزعم ناس أنها قليلة في لغة بعض العجم، ومفقودة في لغة الكثيرين منهم، بالإضافة إلى وجود بعض الإشارات التي تشير إلى وجود أصوات أخرى تفردت بها العربية، وبناء عليه، فلا قطعاً في المسألة ولا تفرد.

أما الجواب على السؤال الثاني، فقد بدا للباحث -وفي حدود اطلاعه- أنّ أول ظهور لمصطلح (لغة الضاد) -ويقصد به اللغة العربية- كان عند الشاعر اللبناني فوزي المعلوف (ت ١٩٣٠م)^(١)، حيث قال:

لا دين للعلم في الدنيا ولا وطن فالعلم كالنور لم تحصر به تُربُّ
ولتستعد لغة الضاد التي دُعيتُ أم اللغات شباباً يُرْدُهُ قَشِبُ
إن لم نكنْ كُنَّا في أصلنا عرباً فَنَحْنُ نَحْتُ لواها كلنا عربُ

أما مصطلح (نطق الضاد) فكان من نصيب أبي الطيب المتنبي المتوفى ٣٥٤هـ فقال^(٢) (بحر الخفيف): وبهم فخرُ كلِّ من نطق الضاد وعودُ الجاني وغوث الطريد

وهنا يفتخر الشاعر بقومه بأنهم متمرسون بنطق الضاد، وحماية الملهوف والمستغيث، وهذا ديدنهم؛ فهم يتباهون بنطقهم لصوت الضاد، فالحديث هنا عن صوت الضاد، وليس وصفاً للغة العربية. وكذلك القول المأثور (أنا أفصح من نطق بالضاد) أي صوت الضاد، فليس المقصود به اللغة العربية^(٣)، بالإضافة إلى أنّ هذا الحديث أو القول المأثور لا أصل له، يقول ابن الجزري: "والحديث المشهور (أنا أفصح من نطق بالضاد) لا أصل له، ولا يصح"^(٤).

يقول إبراهيم أنيس (ت ١٩٧٧م): "وهكذا نرى أنّ علماء اللغة حتى أواخر القرن الثاني من الهجرة لم يشيروا إلى صوت الضاد على أنّه مما تميزت به العربية وحدها، ولم يطلقوا على هذه

(١) فوزي بن عيسى إسكندر المعلوف، ولد في زحلة سنة ١٩٨٨م، شاعر لبناني رقيق، أئقن الفرنسية، وسافر إلى البرازيل، وتوفي فيها سنة ١٩٣٠م، له دواوين شعرية.

ومن الجدير بالذكر، من خلال تتبع هذا المصطلح عند الشعراء معتمدين على (cd) الموسوعة الشعرية الإصدار الثاني، تبين لنا أن مصطلح لغة الضاد ورد عشر مرات: خمس منها وردت عند الشاعر اللبناني المشهور (خليل مطران، ت: ١٩٤٩م)، والباقي توزع على الشعراء: (الشيخ أحمد الزين، ت: ١٩٤٧م) مرة واحدة، وعلي الجارم، ت: ١٩٤٩م مرتان، و(علي محمود طه، ت: ١٩٤٩م) مرة واحدة.

(٢) انظر: العكبري، أبو البقاء، التبيان في شرح الديوان، وهو شرح لديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق: كمال طالب، بيروت -دار الكتب العلمية-، ١٩٩٧م، ٣٢٣/١.

(٣) انظر: بحث الدكتور حنا حداد، بيد ولا سيما بين ثبات المصطلح وتمرد الاستعمال، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج ٤٢-٤٣، ١٩٩٢م، ص ١٧٤.

(٤) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١/٢٢٠. ولمزيد من المواقف المؤيدة لرأي ابن الجزري انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، بيروت -دار الكتب العلمية-، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ١/١٦٥. والعجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، ١/٢٣٢.

اللغة ذلك القول المأثور (لغة الضاد)، وكل ما أشاروا إليه في كتبهم أنه كان هناك أنواع من النطق غير مستحسنة، وقعت في بعض الأصوات، ومن بينها الضاد^(١).

وينبغي أن نسجل هنا أنّ مصطلح لغة الضاد قليل الاستخدام؛ ففي ميدان الشعر قمت باستقراء لاستعمال هذا المصطلح معتمداً على (CD) الموسوعة الشعرية التي تضم ألفين وثلاثمائة شاعر لجميع العصور، من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث عام (١٩٥٣م)، وتبين لي أن عدد إجمالي التكرارات لهذا المصطلح عشرة تكرارات فقط، مرتبة في الكشف الآتي وفق الأكثر توظيفاً للمصطلح^(٢):

الرقم	الشاعر	عدد التكرارات
١-	خليل مطران - شاعر لبناني- ت ١٩٤٩م.	٥
٢-	علي الجارم - شاعر مصري- ت ١٩٤٩م.	٢
٣-	فوزي المعلوف - شاعر لبناني- ت ١٩٣٠م.	١
٤-	الشيخ أحمد الزين - شاعر كفيف مصري - ت ١٩٤٧م.	١
٥-	علي محمود طه - شاعر مصري- ت ١٩٤٩م.	١
	المجموع	١٠

والملاحظ من خلال هذا الجدول أن جُلَّ الشعراء من المحدثين، وهم يعيشون ضمن فترة زمنية متقاربة وصفت بفترة الاستعمار، والبحث عن الهوية العربية والذات، وهذا يدل على أنّ هذا المصطلح له ما يبرره، فتوظيف مصطلح (لغة الضاد) يُشعر الفرد بمكانة وعلو كعب اللغة العربية وتميزها، وهذا ما يبحث عنه الشاعر.

مخرج الضاد

هناك خلاف بين القدماء والمحدثين بشأن مخرج الضاد، أما القدماء فيظهر لنا موقفان:

الأول: ويمثله الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) - وقد انفرد به- فحدد مخرج الضاد من شجر الفم، فقال: "الجيم والشين والضاد شجرية؛ لأنّ مبدأها من شجر الفم، أي: مخرج الفم"^(٣)، فالخليل جعل الضاد من حيز الجيم والشين، وهو الحيز الثالث بعد القاف والكاف، والملاحظ أنّه لم يذكر الياء غير المدية في هذه المجموعة.

(١) أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية-، الطبعة الرابعة، ١٩٩٢م، ص ٥٦.

(٢) انظر: CD الموسوعة الشعرية، الإصدار الثاني.

(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، بيروت - دار إحياء التراث-، ط ١، ٢٠٠١م، ص ١٠. وجاء في معجم تاج العروس من جواهر القاموس: شجر الفم: مخرج الفم ومفتحه [انظر: الزبيدي، تاج العروس، مادة شجر]. وقيل شجر الفم: مؤخره [انظر: ابن سيده الأندلسي، المحكم والمحيط الأعظم، دراسة: أسامة سليم كامل، مادة شجر].

أما الفريق الآخر: فترجمه سيبويه (ت ١٨٠هـ) —وهذا الرأي الشائع— فقال: "من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مُخرَج الضاد"^(١)، وقال في موضع ثانٍ: "لأنَّ الضاد مخرجها من أول حافة اللسان"^(٢)، ويوضح المبرد (ت ٢٨٥هـ) هذا، فيقول: "الضاد مخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له من الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر"^(٣)، وأكد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) هذا، فقال: "ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنَّك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر"^(٤)، وعلى هذا يسير ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، وابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)^(٥).

ونفهم من كلام السابقين أنهم كانوا ينطقون الضاد من حافة اللسان بمشاركة ما يلي هذه الحافة، وهي منطقة اللثة، وبلغه العصر الحديث فهي: (لثوية حنكيّة) على رأي الدكتور "كمال بشر" الذي قال: "تخرج من منطقة قريبة من وسط الحنك، أو هي —بتعبير حديث— لثوية حنكيّة"^(٦).

أما ما ذهب إليه الخليل في نسبة الضاد إلى شجر الفم، ففي اعتقاد الباحث أن الفراهيدي لم يكن معنياً بالتحديد الدقيق لمخارج الحروف، وإنما كان يتحدث عن المخارج والأحياز بشكل عام لتبرير منهج ترتيبه في مواد معجمه (العين)، فوضع الجيم والشين والضاد في حيز واحد، أو أن حكمه راجع إلى تأثره بقرب مكان الغار من موضع الضاد القديمة (لثوية حنكيّة)، ونحن نعلم أن وسيلة القدماء في درس الصوتي هي الملاحظة الذاتية، والممارسة الشخصية عن طريق ذوق الأصوات ونطقها مرة بعد أخرى، وتحديد مواضع النطق، وتعيين حركات أعضاء النطق، وهذه الأمور مدعاة للوقوع في الخلط، وعدم الدقة في التحديد.

ومن الجدير بالذكر أن سيبويه يميز بين الضاد الأصلية والضاد الضعيفة في المخرج، فيقول: "إلا أن الضاد الضعيفة تُتكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف؛ لأنها من حافة اللسان مطبّقة، لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزائه عن موضعه، وإنما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين، وهي أخف لأنها من حافة اللسان"^(٧)، ويتفق معه في هذا الرأي ابن جني، وابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، وابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)^(٨).

- (١) سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م، ٤٣٣/٤ و ٤٣٣/٢.
- (٢) المصدر السابق، ٤٥٩/٤.
- (٣) المبرد، كتاب المقتضب، ١٩٣/١.
- (٤) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٥١/١.
- (٥) انظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١ / ٤٧. وابن يعيش، شرح المفصل، بيروت - عالم الكتب، ١٠ / ١٤٠. وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١ / ٢٠٠.
- (٦) بشر، كمال محمد، علم اللغة العام - الأصوات (دون طبعة)، القاهرة - دار المعارف، ١٩٨٠م، ص ١٠٥.
- (٧) سيبويه، الكتاب، ٤٣٢/٤.
- (٨) انظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١ / ٤٧. وابن يعيش، شرح المفصل، ١٠ / ١٢٧-١٢٨. وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١ / ٢٠٠.

أما بالنسبة لموقف المحدثين من تحديد مخرج الضاد الحديثة المتداولة في نطق مجيدي القراءات الآن، فهي عندهم: "من بين أول اللسان بما فيه طرفه والثنايا العليا بما فيها أصولها"^(١)، أو بعبارة أخرى فهي: أسنانية لثوية مع حد اللسان، وهذا ما عليه أغلب المحدثين^(٢)، ويذهب "كانتينيو" إلى أن الضاد أحد ستة أحرف أدنى -حنكية- هي: الجيم، والشين، والياء، والراء، واللام، والضاد^(٣)، وهكذا يبدو أن الفرق بين ضاد الأمس وضاد اليوم يكمن في أن الضاد القديمة ليس مخرجها الأسنان واللثة كما نطقها اليوم، بل من حافة اللسان أو جانبه. ويرى "برجستراسر" أن نطق الضاد عند البدو نشأ من نطقها العتيق، بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه، ونطقها عند أهل المدن نشأ من هذا النطق البدوي، باعتماد طرف اللسان على الفك الأعلى بدل تقريبه منه فقط"^(٤).

ويقطع النظر عما إذا كان منشأ نطق الضاد الحديثة كما وصفه "برجستراسر" أو غير ذلك، فإنه يؤكد لنا حدوث تطور في مخرجها، وكما يقول "أولمان": "اللغة ليست هامة أو ساكنة بحال من الأحوال، بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحيان، فالأصوات والتراكيب، والعناصر النحوية، وصيغ الكلمات ومعانيها، معرضة كلها للتغير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغير وحسب، هي التي تختلف، من فترة إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة، فلو قمنا بمقارنة كاملة بين فترتين متباعدتين، لتكشّف لنا الأمر عن اختلافات عميقة كثيرة، من شأنها أن تعوق فهم المرحلة السابقة، وإدراكها إدراكاً تاماً"^(٥).

وعلى هذا فمن المحتمل أن يوجد نطقان مختلفان للصوت الواحد، فالتطور الصوتي عام شامل، لا يترك وراءه بقايا، إذ إنه يستبدل حالاً جديدة مكان حال قديمة^(٦).

- (١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٤٦.
- (٢) انظر: مطر، عبد العزيز، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، دار المعارف-القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨١م، ص ٢٧٩. وابن الأنباري، زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والطاء، مقدمة المحقق، ص ٩. وحركات، مصطفى، الصوتيات والفونولوجيا، المكتبة العصرية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ١٠١-١٠٢. وبدري، كمال إبراهيم، علم اللغة المبرمج، الرياض، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، ص ١١٧.
- (٣) كانتينيو، جان، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، تونس، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م، ص ٣٠. ولاحظ أنه يوافق القدماء تقريباً.
- (٤) برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص ١٩.
- (٥) ستيفن، أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، القاهرة - دار غريب - ، الطبعة الثانية عشرة، ١٩٩٧م، ص ١٥٦.
- (٦) عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، القاهرة - مكتبة الخانجي - ، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م، ص ١٦.

صفات الضاد بين القديم والحديث

صوت الضاد عند المتقدمين صوت مجهور، ورخو، ومطبق^(١)، وفيه استطالة لرخاوته حتى أتصل بمخرج اللام^(٢)، وهو كذلك عند ابن جنى، وابن يعيش، وابن الجزري^(٣)، أما عند المحدثين فهو صوت شديد (انفجاري)، ومجهور، ومطبق^(٤).

أما تفسير الاختلاف في وصف الضاد عند المحدثين فرده أغلبهم إلى واحد من الاحتمالين الآتيين، وهما:

الأول: أن القدماء أخفقوا في وصف الضاد، وفي تحديد مخرجها.

الثاني: أن القدماء كانوا يصفون ضاداً أخرى غير التي نطق بها الآن.

والحق أن القول بإخفاق القدماء في وصف الضاد مرفوض ومحال، بشكل لا يقبل التشكيك البتة.

أما الاحتمال الآخر فهو ما يمكن الاطمئنان إليه، ويؤيده عدد من الحقائق المنقولة والمعقولة:

١. أما المنقولة، فنص سيبويه المشهور، وهو قوله: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والطاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرُها"^(٥)، وهذا النص يدل على:

– أن الضاد العربية التي يصفها القدماء لا نظير لها، في حين نجد للضاد الحديثة نظيراً مرققاً، وهو صوت الدال.

– أن سيبويه يجعل الدال نظيراً للطاء، وهذا الأمر لا تقبله الدراسات الصوتية الحديثة؛ فالطاء نظير للطاء وليست للدال.

٢. وأما الدليل المعقول فينتبين من خلال وصف القدماء لمخرج الضاد، إذ إن مخرجها عندهم هو شجر الفم، ففي ترتيب الخليل للأصوات جعل الجيم، والشين، والضاد في حيز واحد، وهو الحيز الثالث بعد القاف، والكاف. أما سيبويه فقد ذكرها قبل الجيم، والشين، والياء.

(١) انظر: سيبويه، الكتاب، ٤/٤٣٤-٤٣٦.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ٤/٤٥٧.

(٣) انظر: ابن جنى، سر صناعة الإعراب ١/٢١٣. وابن يعيش، شرح المفصل، ١٠/٤٠١. وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١/٢١٤.

(٤) انظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٤٨. وعبد العزيز مطر، لحن العامة، ص ٢٧٩. ومصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، ص ١٠٦. وعبد الجليل، عبد القادر، الأصوات اللغوية، عمان-دار الصفاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص ١٦٤. وبرجستراسر، التطور النحوي، ص ١٨-١٩.

(٥) الكتاب ٤/٤٣٦.

وهذا لا يمكن أن يكون متوافقاً مع النطق الحديث لصوت الضاد؛ إذ يفترض النطق الحديث أن تكون الضاد مع الدال، والطاء والتاء في حيز واحد، وهو الحيز الخامس عند الخليل، وعليه يمكن القول: إن الضاد القديمة الاحتكاكية هي ضاد تختلف عن الضاد الحديثة الانفجارية، وليس أحد النطقين شاذاً أو خطأ؛ فلكل نطق أتباعه وزمانه ومكانه، فإنه "إذا حدث أيّ تغيير صوتي أن صار فعالاً في منطقة معينة، وزمن معين، فإنه يتوقع له أن يكون تأثيره عاماً، إلا إذا تدخلت عوامل أخرى أجنبية، مثل التأثيرات التعليمية، أو الاقتراض الأجنبي، أو اللهجي، أو القياسي"^(١).

مراحل تكوين الضاد الحديثة

حاول المحدثون تبيين معالم الصوت القديم للضاد وتقريبه، فصورها إبراهيم أنيس بقوله: "إن الضاد كما وصفها القدماء كانت تتكون بمرور الهواء بالحنجرة، فيحرك هذا الحرف الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق والقم، غير أن مجراه في الفم جانبي عن يسار الفم عند أكثر الرواة، أو عن يمينه عند بعضهم، أو من كلا الجانبين كما يستفاد من كلام سيبويه"^(٢)، و"أن نطقها يبدأ بالضاد الحديثة، وينتهي بالطاء"^(٣).

ويرى "هنري فليش" أن الضاد القديمة: "صوت مفخم يحتمل أنه كان طاءً جانبية (أي أنه كان يجمع الطاء واللام في ظاهرة واحدة)، وقد اختلف هذا الصوت فلم يعد يسمع في العالم العربي، وأصبح بصفة عامة إمّا صوتاً انفجارياً هو مطبق الدال، وإمّا صوتاً أسنانياً هو الطاء"^(٤).

ويصف إبراهيم أنيس أيضاً آلية تكوين الضاد الحديثة بقوله: "فالضاد الحديثة صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتاً انفجارياً هو الضاد كما نطق بها في مصر"^(٥)، ويقدم رمضان عبد التواب وصفاً مشابهاً لتكوين الضاد، كما جاء عند إبراهيم أنيس^(٦)، ويوضح الأمر بشكل جلي الدكتور فوزي الشايب فيقول: "وتنطق الضاد بارتفاع طرف اللسان إلى أصول الثنايا ومقدم اللثة، واتصاله بهما، ويكون الحنك اللين مرتفعاً، ويرافق ارتفاع طرف اللسان ارتفاع مؤخر اللسان تجاه الطبق، وارتدادها إلى الخلف تجاه الجدار الخلفي للحلق، ويكون وسط اللسان مقعراً، وعندما ينفصل عضوا النطق يتحرر الهواء المضغوط وتتذبذب

(١) باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة: الدكتور أحمد مختار عمر، القاهرة - عالم الكتب، الطبعة الثامنة، ١٩٩٨م، ص ١٤٠.

(٢) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٤٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٩.

(٤) العربية الفصحى، ص ٣٧.

(٥) الأصوات اللغوية ص ٤٨.

(٦) انظر: ابن الأنباري، زينة الفضلاء، مقدمة المحقق، ص ٩.

الأوتار الصوتية"^(١)، كما يقدم عبد الحميد الأقطش وصفاً لآلية حدوث أصوات الاستعلاء (ص، ض، ط، ظ، ق، غ، خ)، إذ يقول: "يرتفع مؤخر اللسان في شكل مقعر نحو أقصى الحنك العلوي على هيئة معلقة، بينما يتلامس أو يتقارب جزؤه الأمامي مع جزء آخر من الفم، وهو سلوك عضوي يؤدي إلى حدوث الأصوات المستعلية في نطقها"^(٢).

ويبدو أن الخلاف الجوهرية، في آلية تكوين الضاد بين القدماء والمحدثين ينحصر في انحباس الهواء الخارج من الرئتين؛ بسبب التصاق مقدم اللسان بالثة وأصول الثنايا العليا عند المحدثين، وبمرور هذا الهواء في الفم دون انحباس في مجرى جانبي أو من كلا الجانبين، عند القدماء، وعلى ذلك فصفة الانحراف لتيار الهواء هي المحك الأساس في قضية الاختلاف بين النطقين؛ بحيث لا يتوقف تدفقه في الضاد القديمة، إذ يبقى متحرراً من فوق الحواف الجانبية للسان. أما الضاد الحديثة فيتوقف تيار الهواء تماماً عند عائق أصول الثنايا ثم ينفجر.

وعليه، فلا يخرج صوت من مخرج غير مخرجه إلا مع تغيير لفظه، لذلك فللضاد القديمة مخرجها الخاص بها، وكذلك للضاد الحديثة، فلا يتعدى أحدهما على الآخر، سواء في المخرج أو الصفة.

التلونات النطقية الحرة لصوت الضاد

إن عملية الإبدال الصوتية بين الوحدات الصوتية ظاهرة تقرأها جُل الدراسات الصوتية؛ إذ من المعلوم أن كثيراً من الوحدات الصوتية تتقارب وتشارك في المخرج والصفات، وهذا الأمر يؤدي -غالباً- إلى حدوث بعض الانتقالات والانحرافات والانزياحات بين الأصوات، ويذكر عبد الحميد الأقطش أن ثمة شروطاً أساسية لكل عملية إبدال صوتية، فهي إنما تتم "بين الوحدات الصوتية من تلك التي بها تقارب، أو تشارك في المخرج الصوتية، فضلاً عن الصفات التمييزية، ثم [الوقوع] في مستوى لغوي موحد"^(٣)، ويضيف قائلاً: "ومقتضى تحقق هذه الشروط أن تؤدي إلى إبدالات صوتية مطردة، حتى لتصبح بالنسبة لأهلها عرفاً لغوياً ثابتاً (لهجة)، ولا تعد عندهم من أخطاء اللسان، وإنما غيرهم هو الذي يخطئهم في كلامهم"^(٤).

وقد فطن إلى هذه الحقيقة القدماء كالفراء (ت ٢٠٧هـ) الذي يقول: "إذا تقارب الحرفان في المخرج، تعاقبا في اللغات؛ كما يقال: جدف، وحدث"^(٥)، وقال ابن جني: "إن أصل القلب في الحروف، إنما هو فيما تقارب منها"^(٦)، فالتأثير بين الأصوات اللغوية حاصل لا محالة، ومن ذلك تلك التأدييات والتنقلات النطقية لصوت الضاد في اللغة الفصيحة، وفي اللهجات قديمها

- (١) الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات، ١٩٩٦م، ص ١٦٢.
- (٢) الأقطش، عبد الحميد، اللحن في الأصوات العربية على السنة العجم القدامى، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد ١٦، العدد ١، ١٩٩٨م، ص ٧٠.
- (٣) عبد الحميد الأقطش، اللحن في الأصوات العربية على السنة العجم القدامى، ص ٦٩.
- (٤) المرجع السابق، ص ٦٩.
- (٥) معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، ١٩٥٥م، ٢٤١/٣.
- (٦) سر صناعة الإعراب، ١٩٣/١.

وحديثها، فتجري عمليات الإبدال بين الضاد ومجموعة من تلك الأصوات التي تقاربها، أو تشاركها في المخرج، فضلاً عن الصفات التمييزية، وقد قُسم تآليف الحروف في العربية كما يقول ابن سنان الخفاجي على ثلاثة أقسام: "فالأول تآليف الحروف المتباعدة، وهو الأحسن. والثاني تضعيف هذا الحرف -يقصد الحرف المكرر- نفسه، وهو يلي هذا القسم في الحسن، وتآليف الحروف المتجاورة، وهو قليل في كلامهم، أو منبوذ"^(١)، والعلّة في هذا كله هو الحسن؛ فالفرد يشعر بالكلفة والمشقة في تآليف الحروف المتجاورة، ويشعر بالخفة واليسر في تآليف الحروف المتباعدة.

ويمكن تقسيم التلونات النطقية الحرة لصوت الضاد إلى قسمين:

١. التلونات النطقية الحرة الخاضعة للقوانين الصوتية.
٢. التلونات النطقية الحرة غير الخاضعة للقوانين الصوتية.

أما التلونات النطقية الحرة الخاضعة للقوانين الصوتية لصوت الضاد مرتبة وفق الترتيب الألفبائي فهي:

١. إبدال الضاد دالاً

يكثر إبدال الضاد دالاً في اللهجات العربية، ويذكر شوقي ضيف أن إبدال الضاد دالاً يكثر في العامية المصرية، ومنه: "درغمة في التراب، من ضرغمة، أي: فعل به فعل الضرغام -وهو الأسد- في فريسته، والاسم الشائع في العامية درغام بضم الدال في ضرغام، ومدغ الطعام في مضغ"^(٢)، ويذكر عبد الرحمن أيوب أن من ألفاظ العامية المصرية دل في ضل^(٣)، ويشير عبد المجيد عابدين إلى أن اللهجات السودانية تبدل الدال بالضاد، من ذلك (غميد عيني) في (غميض عيني)، و(غردي) في (غرضي)، (مدغ) في (مضغ)، و(الخر) في (الخر)، و(الخدّار) في (الخدّار)^(٤)، ويذكر ابن مكي الصقلي أن عامة صقلية يقولون: (غرذوف)، والصواب (غرضوف)^(٥)، ويشير عبد الحميد الأقطش إلى أن العجم القدامى كانت في لهجتهم لكنة، فيقولون: (فدل) في فضل، و(أبيد) في أبيض^(٦). وقد احتفظت معاجم الفصحى بطائفة من الألفاظ

- (١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٩٠/١.
- (٢) ضيف، شوقي، تحريفات العامة للفصحى في القواعد والبنيات والحرف والحركات، القاهرة - دار المعارف، ص ١٥٦.
- (٣) انظر: أيوب، عبد الرحمن، العربية ولهجاتها، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ص ٩٩.
- (٤) انظر: عابدين، عبد المجيد، من أصول اللهجات العربية في السودان، الإسكندرية - دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م، ص ٥٤-٥٣.
- (٥) ابن مكي الصقلي، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق: عبد العزيز مطر، القاهرة - دار المعارف، ١٩٨١م، ص ٩٥. ولحن العامة ص ٢٧٨.
- (٦) انظر: عبد الحميد الأقطش، اللحن في الأصوات العربية، ص ٦٣-٦٤.

تجمع بين اللهجتين، منها ما ورد في المعجم الوسيط: (خضل: ندى وابتل، وخضل الشجر: كثرت أغصانه وأوراقه، وخذل: امتلأ وتم، وخذلت المرأة، وخذلت الساق)^(١).

ويمكن تفسير هذا التطور في ضوء القوانين الصوتية، إذ يشترك الصوتان (الضاد والذال) في المخرج (أسناني - لثوي)، ويتفقان في صفة الشدة والجهر، ويختلفان في صفة واحدة هي التفخيم (أي التغليب والتسمين)، الأمر الذي أدى إلى البحث عن تنحيته، فمال اللسان إلى نقيضه وهو الترقيق الذي "يذهب إلى إنحاف البنية التكوينية للحرف وإضعافه"^(٢).

٢. إبدال الضاد ذالاً

عرفت العربية الفصحى واللهجات العربية قديمها وحديثها هذا التحول في نطق الضاد ذالاً، فقد روى أبو الطيب أمثلة لهذا الإبدال، منها قوله: "يقال لهذا الدواء الحضض والحضذ، وهو صمغ نحو من الصبر والمر وما أشبههما"^(٣)، وقوله: "ويقال: ما يُبَيضُ له عِرْقٌ نَبِيضٌ، وما يُبَيِّدُ له عِرْقٌ نَبِيذٌ، وقد نَبَضَ العِرْقُ يُنْبِضُ، ونَبَذَ يُنْبِذُ: إذا ضرب"^(٤)، وفي الصحاح: "ونبذ العرق نبذاً: لغة في نبض"^(٥)، وفي المعجم الوسيط: خضمه خضماً: قطعه، وخذم الشيء خذماً: قطعه بسرة^(٦)، ويذكر ابن مكي الصقلي "أن عامة صقلية يقولون: ما حذر لفان في كذا، ومن حذر له في شيء فيلزمه، والصواب: (حضر) بالضاد"^(٧)، ويذكر ابن الجزري أن من الناس من يمزج نطق الضاد بالذال، وذلك لا يجوز عنده^(٨)، وينقل "يوهان فك عن علي القارئ، أن صوت الضاد الأصلي ينطق كالذال المفخمة"^(٩).

ويبدو أن التفسير الصوتي لهذه الظاهرة قد تقرر في أن صوت الضاد قد جاوز مخرج الذال، بسبب المبالغة في الاستطالة، مما جعلها تمتزج بالذال في السمع، وبتقدم طرف اللسان إلى الأمام، فإنه يسمح للهواء بالمرور، دون أن ينحبس، لنسمع ذلك الصوت المرقق - أي الذال -، ومن ثم فقد أجازت القوانين الصوتية مثل هذا الإبدال، أو أن يكون إبدال الضاد ذالاً ناتجاً عن إبدال الضاد ظاءً، ثم إبدال الظاء ذالاً، وهو أقرب للتفسير.

- (١) انظر: المعجم الوسيط، مادة: (خضل)، ومادة: (خذل).
- (٢) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص ٣٠٦.
- (٣) أبو الطيب اللغوي، كتاب الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦١م، ١٦/٢.
- (٤) المرجع نفسه، ١٦/٢.
- (٥) الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مصر - دار الكتاب العربي -، مادة: (نبذ).
- (٦) انظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار أمواج للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، مادة: (خضم)، ومادة: (خذم).
- (٧) ابن مكي الصقلي، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص ١٠٤.
- (٨) انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ١/١٧٤.
- (٩) انظر: يوهان فك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ص ١١٢.

٣. إبدال الضاد زائياً

من صور الإبدال المختلفة لصوت الضاد أن تنطق زائياً، فقد ذكر صاحب كتاب الإبدال: "يقال رجل زمن وضمن، وزمين وضمن بمعنى واحد"^(١)، ومنه أيضاً قول الفراء: "ويقال: ضمنت يده ضمانة مثل زمنت"^(٢)، وفي اللسان: "الزمن ذو الزمانة، وهي الأفة في الحيوانات...، والزمانة: العاهة"^(٣)، وفيه أيضاً: "والضمن والضمان والضمنة والضمانة: الداء في الجسد من بلاء أو كبر"^(٤)، وذكر أبو الطيب: "ويقال: نغزت ثنيته تنغز، ونغضت تنغض: إذا تحركت، وبه سمي الظلم نغضاً ونغزاً"^(٥)، وذكر أيضاً: "ويقال: أنا على أوفاز، وعلى أوفاض: أي على عجلة"^(٦).

وتنطق الضاد زائياً مفخمة في لهجة أهل القاهرة^(٧)، وفي ليبيا^(٨)، وفي بعض لهجات الأردن، إذ يقولون: زابط في ضابط، ومزبوط في مضبوط، ورزي في رضي.

ويذهب "خليل يحيى نامي" إلى أن نطق الضاد بالذال المطبقة أو بالزاي المفخمة "أنه كان عند عرب الشمال منذ الألف الثاني قبل الميلاد"^(٩).

وعلة هذا الإبدال في اعتقاد الباحث- تكمن، في اقتراب مخرج الضاد من مخرج الزاي، إذ تكتمل رخاوة الضاد، فيسمح اللسان للهواء الخارج من الرئتين بالمرور، دون أن ينحبس، فلا نسمع ذلك الانفجار الذي ينجم عن صوت الضاد، وإنما نسمع صوت الزاي. فقد اقترب المخرجان أحدهما من الآخر، واشترك الصوتان بصفة الجهر، وباكتمال رخاوة الضاد، فإنها تصبح زائياً، وهذا مما تجيزه القوانين الصوتية.

٤. إبدال الضاد سيناً

الضاد والسين من المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج، والتي ذكرها إبراهيم أنيس، وهي: (الذال، والثاء، والضاد، والطاء، واللام، و النون، والراء، والزاي، والسين، والصاد)، وأضاف أنيس مبيناً وجه الشبه بين كل هذه الأصوات فقال: "هو أن مخارجها

(١) انظر: أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ١/١٣٤. ويوهان فك، العربية، ص ١١٢.

(٢) أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ١/١٣٤.

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: (زمن).

(٤) انظر المرجع نفسه، مادة: (ضمن).

(٥) أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ٢/١٣٧.

(٦) المرجع نفسه، ٢/١٣٨.

(٧) رمضان، محيي الدين، في صوتيات العربية، عمان - مكتبة الرسالة الحديثة، ص ١٢٢.

(٨) حماد، أحمد عبد الرحمن، الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية، الإسكندرية - دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦م، ص ٢٨.

(٩) ناجي، خليل يحيى، حرف الضاد وكثرة مخارجه في اللغة العربية، مجلة كلية الآداب-جامعة القاهرة، المجلد ٢١، الجزء الأول، مايو سنة ١٩٥٩م، ص ٦.

تكاد تنحصر بين أول اللسان، بما فيه طرفه، والثنايا العليا، بما فيها أصولها^(١). ومن أمثلة هذا الإبدال ما جاء في لسان العرب: "والضبط والسبتر من نعت الأسد بالمضاء والشدة"^(٢)، وفي كتاب الإبدال: "يقال: رجلٌ مضياحٌ ومسياحٌ: إذا كان يُضيعُ أمورَهُ ولا يتكفّلُ بها"^(٣).

ولعل السبب في هذا الإبدال هو اقتراب مخرج الضاد من السين، فانتقلت الضاد من الشدة إلى الرخاوة - نذكر أنّ الضاد القديمة كانت رخوة-، إذ يخرج الهواء من الرئتين إلى الحنجرة، من غير أن يتذبذب الوتران الصوتيان.

٥. إبدال الضاد صاداً

تقع الضاد ضمن المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج، ويجمع بينهما تقارب المخرج، فبارتفاع مؤخر اللسان باتجاه الحنك الأعلى (الطبق) ورجوعه قليلاً إلى الخلف، وباللقاء طرف اللسان الأسنان العليا أو السفلى أو باقترابها يتوفر منفذ ضيق جداً يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور، لذلك لا يتذبذب الوتران الصوتيان^(٤)، ومن أمثلة هذا النوع من الإبدال -وهو قليل- ما ذكره كراع في كتابه (المنجد في اللغة): "ضاف السهم [بالضاد والصاد أيضاً]: عدل عن الرمية"^(٥)، وذكر "أحمد علم الدين الجندي" عن الكسائي قوله: "الضئيل [بالضاد]: الداهية، ولغة بني ضبة: الضئيل، بالصاد"^(٦)، وفي المعجم الوسيط: "قضبه قضباً: قطعه"، وفيه: "قصب الشيء قضباً: قطعه"^(٧).

فتحوّل صوت الضاد الشديد إلى صوت رخو، ومن الجهر إلى الهمس، أدى إلى تحوله من ضاد إلى صاد.

٦. إبدال الضاد طاء

يقول ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) في شرح المفصل: "والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم، فربما أخرجوها طاء..."^(٨)، وذكر في كتاب الإبدال: "يقال: قوسٌ ضُروحٌ وطُروحٌ: إذا كانت سريرة السهم، حكاها أبو حاتم عن أبي عبيدة"^(٩)، وورد فيه: "النَّضِيلُ والنَّطِيلُ: الدَاهِيَةُ"^(١٠)، وفي المعجم الوسيط: "نبض الماء ونحوه: علا وسال"، وفيه أيضاً: "نبط الشيء

(١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٤٦.

(٢) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٤٦.

(٣) أبو الطيب اللغوي، الإبدال ١٩٦/٢.

(٤) انظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص ١٦٤.

(٥) المنجد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر، وضاحي عبد الباقي، ١٩٧٦م، ص ٢٤٥.

(٦) اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣، ص ٤٣٠.

(٧) مادة: قضب، ومادة: (قصب).

(٨) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٢٧/١٠-١٢٨.

(٩) أبو الطيب اللغوي، الإبدال ٢٦٥/٢.

(١٠) المرجع نفسه، ٢٦٦/٢.

نبتاً ونبوطاً: ظهر بعد خفائه، يقال: حضر الأرض حتى نبط الماء^(١)، ويذكر ابن مكى الصقلي: "أن عامة صقلية يقولون لما حول المدينة: ربط، والصواب ربط"^(٢).

ويعلل "عبد العزيز مطر" انتقال الضاد إلى الطاء بقوله: "فانتقال الضاد إلى الطاء يتم بانتقال مخرج الضاد إلى مخرج الطاء - وهما متقاربان - وبتغير صفة الرخاوة في الضاد إلى الشدة، أما صفة الجهر فقد جمع القدماء بينهما فيها، وإن كانت الطاء التي ينطق بها الآن في القراءات القرآنية - مهموسة، والضاد مجهورة شديدة"^(٣)، ولنذكر أيضاً أن نطق الضاد الآن هو تماماً كنطق الطاء القديمة، بدليل أن سيبويه جعل الطاء النظير المطبق للدال، أما عند المحدثين فإن الضاد هو النظير المطبق للدال، إذن فالطاء القديمة كالضاد الحديثة.

٧. إبدال الضاد طاء

ورد في كتاب الإبدال: "يقال: فاضت نفسه، وفاظت نفسه، أي: خَرَجَتْ، قال الراجز:

اجتمع النَّاسُ وقالوا عُرْسٌ ففَقِنْتُ عَيْنٌ وفاظت نفسُ"^(٤).

واحتفظت معاجم اللغة لهذين الجذرين بمعانٍ متقاربة، ففي المعجم الوسيط: "فاض الماء: كثر حتى سال، وفاض الخبر: ذاع وانتشر، وفاظ فلان: مات، ويقال: فاظت نفسه وروحه"^(٥)، ويذكر "عبد العزيز مطر" أن الضاد تنطق صوتاً شبيهاً بالطاء في بعض البيئات العربية، كالعراق، والخليج العربي، وبعض مناطق شبه الجزيرة العربية، والصحراء الغربية في جمهورية مصر العربية^(٦)، وفي لهجة الأردن يُقال: ظابط في ضابط، وظرب في ضرب وظل في ضل.

ويبدو أن الخلط بين الضاد والطاء كان قديماً وكثيراً، مما دعا غير مؤلف إلى الكتابة في الفرق بين الضاد والطاء، وقد أشار إلى هذا التراث الضخم "عبد العزيز مطر" في مقدمته التي وضعها لكتاب (قرينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والطاء) عندما قام بتحقيقه^(٧)، ويعلل عبد العزيز مطر نطق الضاد طاء بقوله: "إذا كانت الضاد - على وصف القدماء - صوتاً رخواً، مجهوراً، جانبياً مطبقاً، يخرج من أول حافة اللسان، وما يليه من الأضراس إذا كانت الطاء مثلها في الرخاوة والجهر والإطباق، ومخرجها من بين طرف اللسان، وأطراف الثنايا العليا، فمن

(١) المعجم الوسيط، مادة: (نبط)، ومادة: (نبت).

(٢) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص ١٠٤.

(٣) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص ٢٧٧.

(٤) أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ٢٦٧/٢.

(٥) المعجم الوسيط، مادة: (فاظ)، ومادة: (فاظ).

(٦) انظر: لحن العامة، ص ٢٧.

(٧) انظر: ابن الأنباري، زينة الفضلاء، مقدمة المحقق، ص ٢٢-٣٥.

اليسير انتقال أحد الصوتين إلى مخرج الآخر ولعل نطق الضاد هو الأيسر^(١)، وهو لذلك يرى أن نطق الضاد في لهجاتنا الحديثة شبيه بنطق الظاء، أي أسنانياً، رخواً، مجهوراً، مطبقاً^(٢).

٨. إبدال الضاد لاماً

ورد في كتاب الإبدال: "تَقِيضَ فَلَانُ أَبَاهُ وَتَقِيلُهُ تَقِيضاً وَتَقِيلاً، إِذَا نَزَعَ إِلَيْهِ فِي الشَّبَه، وَرَجُلٌ جَلْدٌ، وَيبدلون اللام ضاداً فيقولون: رجلٌ جَصْدٌ"^(٣)، وورد في الخصائص لابن جني قول الشاعر - المنظور بن حية الأسدي (من الرجز) -:

لما رأى أن لا دعة ولا شبع مال إلى أرطاة حقف فاطجع

ويعقب ابن جني على ذلك قائلاً: "أراد فاضطجع، ثم أبدل من الضاد لاماً"^(٤)، وفي لهجتنا المحلية يقول بعضهم: "انضجع" في اضطجع، ويبدو لي أن ثمة مماثلة حدثت في (اضطجع)، ثم حدث إبدال بين الضاد واللام فأصبحت (الجع)، ثم حدثت مخالفة فأصبحت (النجع)، ومن ثم فقد حدث في هذا الفعل هذا الإبدال.

ويرى "برجستراسر" أن مخرج الضاد القديمة قريب من مخرج اللام الذي هو أيضاً من حافة اللسان، وذلك يدل على أن الضاد كانت تشبه اللام من بعض الوجوه^(٥)، كما أشار إلى أن نطق الضاد القديمة يقترب من نطق أهل حضرموت، وهو كاللام المطبقة^(٦).

ومن المعلوم أن الضاد القديمة كانت توصف بأنها رخوة مجهورة مفخمة، فتكون قد شاركت اللام في هذه الصفات، ومن هنا فإنه لا يستغرب مثل هذا التبادل بين الصوتين، وبالتالي فقد اقترب مخرج الضاد من مخرج اللام، واشتركا في الجهر والتفخيم.

ويعلم الباحث أن الضاد القديمة كانت توصف بأنها رخوة، أو بين الشدة والرخاوة، فتكون قد شاركت اللام في هذه الصفة أيضاً، ومن ثم فإن الباحث لا يستغرب مثل هذا التبادل بين الضاد واللام.

٩. نطق الضاد نوناً

ورد في كتاب الإبدال: "والعرب تقول: اللهم إني أعوذ بك من الخنوع والخنوع"^(٧)، وفيه أيضاً: "المخن نزع البئر، ويقال: مخضت بالدلو، إذا نهزت بها في البئر"^(٨)، وعلّة هذا الإبدال

(١) لحن العامة، ص ٢٧٨.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص ٢٧٩.

(٣) أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ٢/٢٧٧.

(٤) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت - دار الهدى -، الطبعة الثانية، ٣/٣٢٦.

(٥) برجستراسر، التطور النحوي، ص ١٨.

(٦) المرجع السابق، ص ١٩.

(٧) أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ٢/٢٨٠.

(٨) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

أنّ الضاد والنون متقاربتان مخرجاً، فيمكن للسان أن ينحرف عن مخرج الحرف إلى مخرج حرف آخر، وهذا جائز في القوانين الصوتية.

١٠. إبدال الضاد ميماً

ورد في كتاب الإبدال: "ضَغَضَعَ الكلام: لم يُبَيِّنْهُ... وَمَغَمَعَ الكلام: لم يُبَيِّنْهُ أيضاً"^(١).

والميم من الأصوات المائعة (الراء، واللام، والميم، والنون)، وواضح أن الضاد والميم اختلفتا في المخرج، لثوي أسناني، مقابل شفوي أنفي. واتفقتا في الجهر، وتوصف الميم بأنها من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، ومن ثم فقد تجيز القوانين الصوتية إبدالها من الضاد لخفتها وكثرة شيوعها في الكلام.

التلونات النطقية الحرة غير الخاضعة للقوانين الصوتية

١. إبدال الضاد شيناً

ورد في كتاب الإبدال: "قال أبو نصر: يقال: رجلٌ شَمَخَزٌ وضَمَخَزٌ، إذا كان مُتَكَبِّراً"^(٢)، وفي هامش كتاب الإبدال ذكر المحقق: "ولعل من هذا الباب: بيّش الله وجهه وبيّضه بمعنى واحد"^(٣)، وذكر من أمثلة الغريب: "الهشيم المكسور، ولذلك الهضم"^(٤).

والضاد لثوية أسنانية، والشين غاربية أو شجرية، اختلف مخرجهما وتباعدا، والضاد انفجارية، ومجهورة، ومطبقة، والشين رخوة، ومهموسة، ومرفقة، ولذا فإن القوانين الصوتية لا تسوغ مثل هذا الإبدال، ولكن يمكن أن نبرر هذا الإبدال إذا ما نظرنا إلى أن الضاد القديمة كانت رخوة (ضعيفة)، لذلك جعل القدماء الشين والضاد من نفس المخرج، وعليه فحدوث الإبدال يكون مبرراً.

٢. إبدال الضاد عيناً

ورد في كتاب الإبدال: "ما أنقلت مئى إلا جريضة الدقن، ويروى: إلا جريضة الدقن، بالصاد والعين جميعاً، أي ما أنقلت إلا وقرب الموت منه كقرب الجريضة من الدقن"^(٥)، ويقطع النظر مما إذا كان أصل اللفظ بالضاد أو بالعين، فإن القوانين الصوتية لا تسوغ هذا الإبدال، لبعد مخرج الضاد (لثوي أسناني) من مخرج العين (حلقي).

(١) أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ٢٧٩/٢.

(٢) المرجع نفسه، ٢٢٣/٢.

(٣) المرجع نفسه، ٢٢٣/٢.

(٤) المرجع نفسه، ٢٢٣/٢.

(٥) أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ٢٧٣/٢.

٣. إبدال الضاد فاء

ورد في كتاب الإبدال: "رَوَى ابْنُ الْفَرَجِ عَنْ بَعْضِهِمْ: غَضَضْتُ الْغُصْنَ وَغَضَفْتُهُ، إِذَا كَسَرْتَهُ فَلَمْ تُنْعَمْ كَسْرَهُ"^(١)، وقد احتفظت معاجم اللغة للفعلين بمعان متقاربة^(٢)، والفاء والضاد متباعدتان مخرجاً، فالأولى أسنانية شفوية، والأخرى لثوية أسنانية، وبالتالي فإن القوانين الصوتية لا تسوغ مثل هذا الإبدال.

٤. إبدال الضاد كافاً

ورد في كتاب الإبدال: "فَكَ الشَّيْءَ يَفْكُهُ فَكًا فَانْفَكَّ: فَصَلَّهُ، كَذَلِكَ: فَضَّ الْخَاتَمَ يَفُضُّهُ فَضًّا فَانْفُضَّ: إِذَا كَسَرَهُ وَفَصَلَّهُ"^(٣)، والكاف كما يتضح بعيدة المخرج عن الضاد، فهي طبقية، ومن ثم فإن القوانين الصوتية ترفض مثل هذا الإبدال.

ثمة تنوعات نطقية مقيدة لصوت الضاد، نتيجة تجاوره لأصوات أخرى في الكلمة الواحدة أو في المتصل من الكلام، ويتجلى ذلك في الظواهر اللغوية الآتية:

المخالفة

معنى المخالفة: (حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين في الكلمة الواحدة، ويحدث هذا الاختلاف في الكلمة المشتملة على التضعيف، بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى صوت لين طويل، أي واو المد، أو ياء المد، أو ألف المد، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين، وهي المسماة بالأصوات المائعة (LIQUIDS)، وهي: اللام، والنون، والميم، والراء)^(٤).

ويشير "برجستراسر" إلى الظاهرة نفسها بقوله: "وقد يفك الإدغام، ويصير الحرف المشدد حرفين مختلفين، بقلب أول نصفه إلى حرف آخر"^(٥)، ومن أمثلة هذه الظاهرة:

- غضن: غضاً.
- قضن: قضى، تقضن: تقضى.
- غضن: غضر، بضن: بضر، مضن: مضر، مضن: مضر.
- عضن: عضل.
- قضن: قضم، غضن: غمض.
- غضن: غضن.

(١) المرجع نفسه، ٢٧٥/٢.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مادة (غض)، و(غضف).

(٣) أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ٢٧٥/٢-٢٧٦.

(٤) عبد العزيز مطر، لحن العامة، ص ٢٥٩.

(٥) برجستراسر، التطور النحوي، ص ٣٤.

ولو تتبعنا معاني كل كلمتين متقابلتين من هذه الأمثلة، لوجدنا أن ثمة معنىً مشتركاً يجمع بينهما دائماً^(١)، مما يشير بقوة إلى ارتباطهما بجذر واحد، ومن ثم إلى أنها تلونات نطقية مقيدة لصوت الضاد.

ويعلل إبراهيم أنيس هذه الظاهرة بقوله: "والسر في هذا أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما في كلمة واحدة. ولتيسير هذا المجهود العضلي يقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم مجهوداً عضلياً، كأصوات اللين وأشباهاها"^(٢)، ولا بد من ملاحظة أن الأصوات التي تبادلت الموقعية مع الضاد هي أصوات ذوات مخارج قريبة من مخرج الضاد، بحيث تجيز القوانين الصوتية ذلك التبادل، بالإضافة إلى أن أغلب ما في المخالفة أن يكون الصوت الجديد من الأصوات المائعة؛ لأنها أصوات سهلة، وهدف المخالفة هو تسهيل النطق، وهو ما حدث مع الضاد.

الإدغام

ثمة مثال واحد على إدغام الضاد في غيرها من الحروف (الأصوات) هو الشين، في قوله تعالى: ((فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ))^(٣)، وقد ذكر السيرافي في كتابه إدغام القراء، أن الضاد لم تدغم في شيء إلا ما ذكر أبو بكر بن مجاهد: "أن أبا شعيب السوسي روى عن اليزيدي عن أبي عمرو أنه كان يدغم الضاد في الشين في قوله تعالى: ((لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ))"^(٤)، إلا أن الزمخشري (ت ٥٨٣هـ) في شرح المفصل يقول: "والضاد لا تدغم إلا في مثلها كقولك: اقْبِضْ ضَعْفَهَا"^(٥)، وأضاف: "وأما ما رواه أبو شعيب السوسي عن اليزيدي أن أبا عمرو كان يدغمها في الشين في قوله تعالى: ((لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ)) (سورة النور: ٦٢)، فما برئت من عيب رواية أبي شعيب"^(٦)، ولا تسوغ القوانين الصوتية مثل هذا الإدغام؛ لأنها ترفض إدغام أصوات الإطباق في غيرها من الأصوات، وقد وقف إبراهيم أنيس عند هذا المثال وقال: "لن نحاول تبرير إدغام الضاد في الشين من الناحية الصوتية؛ لأننا غير واثقين كل الثقة من النطق الأصلي للضاد"^(٧).

أما ما يدغم فيها من الحروف، فتدغم: (الطاء، والذال، والتاء، والظاء، والذال، والثاء)، كقولك: حطَّ ضمانك، وزد ضحكاً، وشدت ضفائرها، واحفظ ضأنك، ولم يلبث ضارباً^(٨).

- (١) انظر: المعجم الوسيط، مادة: (عض)، و(عضو)، و(قضى)، و(قضى)، و(غض)، و(بض)، و(برض)، و(قض)، و(مرض)، و(مضر)، و(عض)، و(عضل)، و(قضم)، و(غض)، و(غضن).
- (٢) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٢١١.
- (٣) سورة النور: ٦٢.
- (٤) السيرافي، أبو سعيد، إدغام القراء، تحقيق: محمد علي عبد الكريم الدريني، دمشق - دار أسامة - الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ٤٥. سورة النور: ٦٢.
- (٥) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٤٠/١٠. وانظر: الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ص ٤٧٠.
- (٦) انظر: شرح المفصل ١٤٠/١٠.
- (٧) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ١٨٨.
- (٨) انظر: شرح المفصل، ١٤١/١. والمفصل في صنعة الإعراب، ص ٤٧٠.

المماثلة

وثمة مثال واحد على المماثلة^(١) ذكره سيبويه، قال: "قال بعضهم: مُضْطَجِع وإن شئت قلت: مُضْجِع. وقد قال بعضهم: مُطْجِع"^(٢)، ومن الواضح أن الضاد تأثرت بالطاء تأثراً رجعياً، فمائلتها ثم أدغمت فيها.

وبعد، يمكن تلخيص أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث على النحو الآتي:

- صوت الضاد صوت كبقية أصوات اللغة العربية، يمكن تعلمه ونطقه، ولكن في نطقه صعوبة وعسر؛ لذلك نوصي بأن يطلق عليه (الصوت العسير)، وليس الصوت العصي.
- صوت الضاد من أكثر الأصوات العربية تبديلاً؛ فمجموع التبدلات والتلونات الصوتية الحرة والمقيدة، سواء أكانت مبررة أو غير مبررة بلغت أربعة عشر تبديلاً.
- يلحظ التردد في حسم مسألة التفرد لصوت الضاد في اللغة العربية، بالإضافة إلى وجود بعض الإشارات التي تشير إلى وجود أصوات أخرى تفردت بها العربية، وبناءً عليه، فلا قطعية في مسألة التفرد.
- يبدو أنّ أول ظهور لمصطلح (لغة الضاد) -ويقصد به اللغة العربية- كان عند الشاعر اللبناني فوزي المعلوف (ت ١٩٣٠م).
- يوجد نطقان مختلفان لصوت الضاد: الضاد القديمة والضاد الحديثة. وأنّ التطور في الأصوات أمر مقرر.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم، أنيس. (١٩٩٢). الأصوات اللغوية. ط ٤. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.
- إبراهيم، أنيس. (٢٠١٠). موسيقى الشعر. ط ٤. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.
- إبراهيم، مصطفى. وآخرون. (١٩٨٧). المعجم الوسيط. ط ٢. دار أمواج للطباعة والنشر. بيروت.
- الأقطش، عبد الحميد. (١٩٩٨). "الحن في الأصوات العربية على السنة العجم القدامى". مجلة أبحاث اليرموك. ١٦ (١).

(١) والمماثلة الصوتية، من هم قوانين التغيرات التركيبية للأصوات التي تقوم على التماثل بين صوتين مختلفين بتأثير أحدهما على الآخر. والتأثير إما أن يكون كلياً، وإما جزئياً. للمزيد: انظر على سبيل المثال: التطور اللغوي، مظهره وعمله وقوانينه. للدكتور رمضان عبد التواب. القاهرة، مكتبة الخانجي.

(٢) انظر: سيبويه، الكتاب، ٤/٤٧٠.

- ابن الأنباري. (١٩٧١). زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والطاء. تحقيق: رمضان عبد التواب. دار الأمانة. القاهرة.
- أيوب، عبد الرحمن. (١٩٦٨). العربية ولهجاتها. ط١.
- باي، ماريو. (١٩٩٨). أسس علم اللغة. ط٨. ترجمة: الدكتور أحمد مختار عمر. عالم الكتب. القاهرة.
- بدري، كمال إبراهيم. (١٩٨٢). علم اللغة المبرمج. ط١. جامعة الملك سعود. الرياض.
- برجشتراسر. (١٩٩٤). التطور النحوي للغة العربية. ط٢. صححه رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي. القاهرة.
- بشر، كمال محمد. (١٩٨٦). علم اللغة العام - الأصوات. دار المعارف. القاهرة.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (١٩٩٨). البيان والتبيين. ط١. تحقيق: موفق شهاب الدين. دار الكتب العلمية. بيروت.
- الجرجاني، الشريف علي بن محمد علي. التعريفات. ضبط نصوصها وعلق عليها. محمد علي أبو العباس. دار الطلائع. القاهرة.
- ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. صححه علي محمد الضباع. دار الكتب العلمية. بيروت.
- الجندي، أحمد علم الدين. (١٩٨٣). اللهجات العربية في التراث. الدار العربية للكتاب.
- ابن جني، أبو الفتح. (١٩٨٥). سر صناعة الإعراب. ط١. تحقيق حسن هندأوي. دمشق. والخصائص. ط٢. تحقيق: محمد علي النجار. دار الهدى. بيروت.
- الجوهري. الصحاح. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار الكتاب العربي. مصر.
- حركات، مصطفى. (١٩٩٨). الصوتيات والفونولوجيا. ط١. المكتبة العصرية. بيروت.
- حماد، أحمد عبد الرحمن. (١٩٨٦). الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.
- الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن سعد. (٢٠٠١). سر الفصاحة. ط١. مؤسسة العلياء. القاهرة.
- رمضان، محيي الدين. في صوتيات العربية. مكتبة الرسالة الحديثة. عمان.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. المتوفى ٥٣٨هـ. (١٩٩٣). المفصل في صنعة الإعراب. ط١. تحقيق: علي بو ملحم. مكتبة الهلال. بيروت.

- ستيفن، أولمان. (١٩٩٧). دور الكلمة في اللغة. ط٢. ترجمة: كمال بشر. دار غريب. القاهرة.
- سيوييه، الكتاب. (١٩٧٥). تحقيق: عبد السلام هارون. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن سيدة الأندلسي. المحكم والمحيط الأعظم. دراسة: أسامة سليم كامل.
- السيرافي، أبو سعيد. (١٩٨٦). إدغام القراء. ط٢. تحقيق: محمد علي عبد الكريم الدريني. دار أسامة. دمشق.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٩٨). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.
- الشايب، فوزي. (١٩٩٦). محاضرات في اللسانيات.
- صاحب بن عباد. (١٩٩٤). المحيط في اللغة. تحقيق: محمد حسن آل ياسين. عالم الكتب. بيروت.
- الصقلي، الشيخ أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن أحمد القيسي. (١٩٨٥). كتاب في معرفة الضاد والطاء. ط٢. تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن. مؤسسة الرسالة. بيروت.
- ضيف، شوقي. تحريفات العامة للفصحى في القواعد والبنيات والحرف والحركات. دار المعارف. القاهرة.
- أبو الطيب اللغوي. (١٩٦١). كتاب الإبدال. تحقيق: عز الدين التنوخي. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق.
- عابدين، عبد المجيد. (١٩٨٩). من أصول اللهجات العربية في السودان. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.
- عبد الجليل، عبد القادر. (١٩٨٨). الأصوات اللغوية. ط١. دار الصفاء. عمان.
- عبد التواب، رمضان. (١٩٩٧). التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه. ط٣. مكتبة الخانجي. القاهرة.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي. (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨). كشف الخفاء ومزيل الإلباس. ط٣. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- العكبري، أبو البقاء. (١٩٩٧). التبيان في شرح الديوان. وهو شرح لديوان أبي الطيب المتنبي. تحقيق: كمال طالب. دار الكتب العلمية. بيروت.

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب. (١٩٦٣). الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. تحقيق: مصطفى الشويمي. مؤسسة بدران. بيروت.
- الفراء. (١٩٥٥). معاني القرآن. تحقيق أحمد نجاتي ومحمد علي النجار. دار الكتب. القاهرة.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (٢٠٠١). كتاب العين. ط١. دار إحياء التراث. بيروت.
- فك. (١٩٨٠). يوهان: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. ترجمة رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي. مصر.
- فليش، هنري. (١٩٦٦). العربية الفصحى. نحو بناء لغوي جديد. ط٢. تعريب وتحقيق: الدكتور عبد الصبور شاهين. دار المشرق. بيروت.
- كانتينو، جان. (١٩٦٦). دروس في علم أصوات العربية. ترجمة: صالح القرماضي. الجامعة التونسية. تونس.
- كراع، أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي. (١٩٧٦). المنجد في اللغة. تحقيق: أحمد مختار عمر. وضاحي عبد الباقي.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن مالك ٦٧٢هـ. الإعتماد في نظائر الظاء والضاد. ط٢. تحقيق ودراسة الدكتور حاتم صالح الضامن. مؤسسة الرسالة. بيروت.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. المقتضب. ط١. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. بيروت. عالم الكتب.
- مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية. بيروت.
- مطر، عبد العزيز. (١٩٨١). لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة. ط٢. دار المعارف. القاهرة.
- مكي بن أبي طالب. (١٩٩٦). الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. تحقيق أحمد حسن فرحات. دار عمار. عمان.
- ابن مكي الصقلي. (١٩٨١). تنقيب اللسان وتلقيح الجنان. تحقيق: عبد العزيز مطر. دار المعارف. القاهرة.
- ابن منظور. لسان العرب. دار صادر. بيروت.
- ناجي، خليل يحيى. (١٩٥٩). "حرف الضاد وكثرة مخارجه في اللغة العربية". مجلة كلية الآداب. جامعة القاهرة.

- ابن يعيش. شرح المفصل. عالم الكتب. بيروت.
- حداد، حنا. (١٩٩٢). "بيد ولا سيما بين ثبات المصطلح وتمرد الاستعمال". مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. العدد المزدوج. ٤٢-٤٣.
- برنامج الموسوعة الشعرية، الإصدار الثاني، قرص (CD).